قضايا و اراء

2 جمادى الأولى 1422 هـ 23 يوليو 2001 السنة 125-العدد 41867
الأثنين

من أسرار القرآن

الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزي دلالتها العلمية

10 ـ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا
الإسراء: 12

بقلم: د. زغـلول النجـار

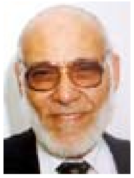

في هذه الآية الكريمة يذكرنا ربنا تبارك وتعالي بأنه قد جعل الليل والنهار آيتين من آياته الكونية المبهرة التي تدل علي طلاقة قدرته, وبالغ حكمته, وبديع صنعه في خلقه, فاختلاف هيئة كل من الليل والنهار في الظلمة والنور, وتعاقبهما علي وتيرة رتيبة منتظمة ليدل دلالة قاطعة علي أن لهما خالقا قادرا عليما حكيما..

والآية في اللغة العلامة والجمع آي, وآيات والآية من كتاب الله جماعة حروف تكون كلمة أو مجموعة كلمات تبني منها الآية لتحمل دلالة معينة.

آراء المفسرين

يذكر عدد من المفسرين في شرح هذه الآية الكريمة أن الله تعالي قد جعل من صفات الليل أنه مظلم, كما جعل من صفات النهار أنه منير, وربما كان ذلك هو آية كل منهما, وهذا الفهم دفع ببعض المفسرين إلي القول بأن من معاني قوله تعالي:فمحونا آية الليل.. أي جعلنا الليل, وهو آية من آيات الله ـ مظلما, وجعلنا من صفاته تلك الظلمة, وأن من معاني قوله تعالي:وجعلنا آية النهار مبصرة أي جعلنا الآية(التي هي النهار) منيرة تعين علي الإبصار فيها, من نحو قول العرب:أبصر النهار إذا أنار وصار بحالة يبصر فيها, ولكن المقابلة بين محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة ربما تتحمل من المعاني ما هو فوق ذلك, مما يحتاج إلي توظيف العديد من الحقائق العلمية الحديثة من أجل حسن فهم دلالة تلك المقابلة.
فواضح نص الآية الكريمة أن الله تعالي قد محا آية الليل, وأبقي آية النهار مبصرة لكي يتيح الفرصة للخلق لابتغاء الفضل منه, والسعي علي كسب الرزق أثناء النهار, وللخلود إلي السكينة والراحة بالليل, وأن في هذا التبادل بين الليل المظلم والنهار المنير وسيلة ميسرة لتحديد الزمن, ولتأريخ

الأحداث, فبدون ذلك التتابع الرتيب لليل والنهار يتلاشي إحساس الإنسان بمرور الزمن, وتتوقف قدرته علي متابعة الأحداث والتأريخ لها, ولذلك يمن علينا ربنا تبارك وتعالي في ختام هذه الآية الكريمة بأنه قد فصل لنا كل شيء في وحيه الخاتم القرآن الكريم الذي ليس من بعده وحي من الله, وليست من بعده أية رسالة ربانية, ولذلك جاء ذلك التفصيل الإلهي تفصيلا دقيقا واضحا لكل أمر من أمور الدين الذي لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيه أية ضوابط صحيحة.

آيتا الليل والنهار

الليل والنهار آيتان كونيتان عظيمتان من آيات الله في الخلق, تشهدان بدقة بناء الكون, وانتظام حركة كل جرم فيه, وإحكام السنن الضابطة له, ومنها تلك السنن الحاكمة لحركات كل من الأرض والشمس, والتي تتضح بجلاء في التبادل المنتظم للفصول المناخية, والتعاقب الرتيب لليل والنهار, وما يصاحب ذلك كله من دقة وإحكام بالغين..!!
فنحن نعلم اليوم أن التبادل بين الليل المظلم والنهار المنير هو من الضرورات اللازمة للحياة علي الأرض, ولاستمرارية وجود تلك الحياة بصورها المختلفة حتي يرث الله تعالي الأرض ومن عليها.

فبهذا التبادل بين الظلام والنور يتم التحكم في درجات الحرارة والرطوبة, وكميات الضوء اللازمة للحياة في مختلف بيئاتها الأرضية, كما يتم التحكم في العديد من الأنشطة والعمليات الحياتية من مثل التنفس, والنتح, والتمثيل الضوئي, والأيض, وغيرها ويتم ضبط التركيب الكيميائي للغلاف الغازي المحيط بالأرض, وضبط صفاته الطبيعية, وتتم دورة المياه بين الأرض والسماء والتي لولاها لفسد كل ماء الأرض كما يتم ضبط حركات كل من الأمواج المختلفة في البحار والمد والجزر, والرياح والسحاب, ونزول المطر بإذن الله, ويتم تفتيت الصخور وتكون التربة بمختلف أنواعها ومنها الصالحة للانبات, وغير الصالحة, وترسب الصخور ومنها القادرة علي خزن كل من الماء والنفط والغاز ومنها غير القادرة علي ذلك, وتركيز مختلف الثروات الأرضية, وغير ذلك من العمليات والظواهر التي بدونها لا يمكن للأرض أن تكون صالحة للحياة.
وتعاقب الليل والنهار علي نصفي الأرض هو كذلك ضروري, لأن جميع صور الحياة الأرضية لا تتحمل مواصلة العمل دون راحة وإلا هلكت, فالإنسان والحيوان والنبات, وغير ذلك من أنماط الحياة البسيطة يحتاج إلي الراحة بالليل لاستعادة النشاط بالنهار أو عكس ذلك بالنسبة لانماط الحياة الليلية فالإنسان ـ علي سبيل المثال ـ يحتاج إلي أن يسكن بالليل فيخلد إلي شيء من الراحة والعبادة والنوم مما يعينه علي استعادة نشاطه البدني والذهني

والروحي, وعلي استرجاع راحته النفسية, واستجماع قواه البدنية حتي يتهيأ للعمل في النهار التالي وما يتطلبه ذلك من قيام بواجبات الاستخلاف في الأرض, وقد ثبت بالتجارب العملية والدراسات المختبرية أن أفضل نوم الإنسان هو نومه بالليل, خاصة في ساعات الليل الأولي, وأن إطالة النوم بالنهار ضار بصحته لأنه يؤثر علي نشاط الدورة الدموية تأثيرا سلبيا, ويؤدي إلي شيء من التيبس في العضلات, والتراكم للدهون علي مختلف أجزاء الجسم, وإلي زيادة في الوزن, كما يؤدي إلي شيء من التوتر النفسي والقلق, وربما كان مرد ذلك إلي الحقيقة القرآنية التي مؤداها أن الله تعالي قد جعل الليل لباسا, وجعل النهار معاشا, وإلي الحقيقة الكونية التي مؤداها أن الانكماش الملحوظ في سمك طبقات الحماية في الغلاف الغازي للأرض ليلا, وتمددها نهارا يؤدي إلي زيادة قدراتها علي حماية الحياة الأرضية بالنهار عنها في الليل حين ترق طبقات الحماية الجوية تلك رقة شديدة قد تسمح لعدد من الأشعات الكونية بالنفاذ إلي الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض, وهي أشعات مهلكة مدمرة لمن يتعرض لها لمدد كافية, ومن هنا كان ذلك الأمر القرآني بالاستخفاء في الليل والظهور في النهار ومن هنا أيضا كان أمره إلي خاتم الأنبياء والمرسلين صلي الله عليه وسلم أن يستعيذ بالله تعالي من شر الليل إذا دخل بظلامه, وأن يلتجئ إلي الله ويعتصم بجنابه من أخطار ذلك فقال عز من قائل:

ومن شر غاسق إذا وقب*[الفلق:3]
فهذا الشر ليس مقصورا علي الظلمة وما يمكن أن يتعرض فيها المرء إلي مخاطر البشر, بل قد يمتد إلي مخاطر الكون التي لا يعلمها إلا الله تعالي.
ثم إن هذا التبادل في اليوم الواحد بين ليل مظلم ونهار منير, يعين الإنسان علي إدراك حركة الزمن, وتأريخ الأحداث, وتحديد الأوقات بدقة وانضباط ضروريين للقيام بمختلف الأعمال, ولأداء جميع العبادات, وللوفاء بمختلف العهود والحقوق والمعاملات وغير ذلك من الأنشطة الإنسانية, فلو كان الزمن كله علي نسق واحد من ليل أو نهار ما استقامت الحياة وما استطاع الإنسان أن يميز من حياته ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا, وبالتالي لتوقفت الحياة, ولذلك يقول ربنا تبارك وتعالي في ختام الآية:

.. لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب.. ولذلك أيضا يمن علينا ربنا وهو تعالي صاحب الفضل والمنة بتبادل الليل والنهار في العديد من آيات القرآن الكريم, ومع إيماننا بذلك, وتسليمنا به يبرز التساؤل في الآية الكريمة التي نحن بصددها رقم12 من سورة الإسراء عن مدلول آيتي الليل والنهار, وعن كيفية محو آية الليل وإبقاء آية النهار مبصرة؟..

محو آية الليل وإبقاء آية النهار مبصرة عند المفسرين:
في شرح معني هذه الآية الكريمة ذكر نفر من المفسرين أن آيتي الليل والنهار نيراهما, فآية الليل هي القمر, وآية النهار هي الشمس, وإذا كان الأمر كذلك فكيف محيت آية الليل, والقمر لا يزال قائما بدورانه حول الأرض ينير ليلها كلما ظهر؟, فقد روي عن عبدالله بن عباس رضي الله تبارك وتعالي عنهما أنه قال: كان القمر يضئ كما تضئ الشمس, والقمر آية الليل, والشمس آية النهار, وعلي ذلك فمعني قول الحق تبارك وتعالي:فمحونا آية الليل هو السواد الذي في القمر أي انطفاء جذوته, وأضاف: أن مدلول وجعلنا الليل والنهار آيتين أي ليلا ونهارا, وكذلك خلقهم الله عز وجل.
وتبع ابن عباس في ذلك قتادة(يرحمه الله) الذي قال: كنا نحدث أن محو آية

الليل سواد القمر الذي فيه, وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة, وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم.

وفي الكلام إشارة دقيقة إلي الفارق الذي حدده القرآن الكريم في آيات عديدة بين ضوء الشمس ونور القمر, والذي لم يدركه العلماء إلا متأخرا بأن الأول ينطلق من نجم ملتهب شديد الحرارة, مضئ بذاته بينما الثاني ينتج عن انعكاس أشعة الشمس علي سطح القمر البارد المعتم.
وقال نفر آخر من المفسرين إن آية الليل هي ظلمته, كما أن آية النهار هي نوره ووضاءته, فالله تعالي جعل من الظلام آية لليل, كما جعل من النور آية للنهار, فيعرف كل منهما بأيته, أي بعلامته الدالة عليه, ومن هؤلاء المفسرين ابن جريج(يرحمه الله) الذي نقل عن عبدالله بن كثير(رحمة الله عليه) قوله: آيتا الليل والنهار هما ظلمة الليل, وسرف النهار.

وهنا يتبادر إلي الذهن السؤال التالي: كيف يستقيم هذا الفهم مع قول الحق(تبارك وتعالي): فمحونا آية الليل وظلمة الليل باقية مع بقاء نور النهار؟ وإذا كانت آية الليل هي ظلمته فكيف محيت تلك الظلمة وهي لاتزال باقية؟ وعلي الرغم من هذا التعارض فقد أيد عدد من المفسرين المعاصرين هذا الفهم بصورة أو أخري ومنهم صاحب الظلال(يرحمه الله) الذي كتب مانصه... والليل والنهار آيتان كونيتان كبيرتان تشيان بدقة الناموس الذي لايصيبه الخلل مرة واحدة, ولايدركه التعطل مرة واحدة, ولا يني يعمل دائبا بالليل والنهار, فما المحو المقصود هنا وآية الليل باقية كآية النهار؟ يبدو ـ والله أعلم ـ أن المقصود به ـ ظلمة الليل التي تخفي فيها الأشياء, وتسكن فيها الحركات والأشباح,, فكأن الليل محو إذا قيس إلي ضوء النهار, وحركة الأحياء فيه والأشياء, وكأنما النهار ذاته مبصر بالضوء(بالنور) الذي يكشف كل شئ فيه للأبصار.
من هذا الاستعراض يتضح اختلاف آراء المفسرين ـ قدامي ومعاصرين ـ في اجتهادهم لفهم دلالة الآية القرآنية الكريمة التي نحن بصددها(الآية الثانية عشرة من سورة الإسراء) فمنهم من قال بأن آية النهار هي نوره الوضاء, أو هي الشمس مصدر ذلك الضياء, بينما آية الليل هي ظلمته, أو هي القمر المتميز بظلمة سطحه الذي لا ينير إلا بسقوط أشعة الشمس عليه,
وانعكاسها من ذلك السطح المعتم المظلم, وقد دفع ذلك ببعض المفسرين إلي القول بإحتمال كون القمر في بدء خلقه ملتهبا, شديد الحرارة, مشتعلا, مضيئا بذاته تماما كالشمس, ثم انطفأت جذوته وخبت, فمحي ضوءه الأصلي, ولم يعد له نور إلا مايسقط علي سطحه من أشعة الشمس, وهذا الاحتمال لاتدعمه الملاحظات العلمية الدقيقة في صفحه الكون, وفي تاريخ الأرض القديم, فكتلة القمر المقدرة بحوالي735 مليون مليون مليون طن البالغة حوالي80/1 من كتلة الأرض لاتمكنه من أن يكون نجما ملتهبا بذاته فالحد الأدني لكتلة الجرم السماوي كي يكون نجما لاتقل عن8% من كتلة الشمس المقدرة بألفي مليون مليون مليون مليون طن, أي لايجوز للنجم أن تقل كتلته عن160 مليون مليون مليون مليون طن وهو أكثر من مائتي ض عف كتلة القمر, ولو افترضنا جدلا امكانية أن يكون القمر نجما لأحرق لهيبه الأرض لقربه منها ـ(380000 كيلومتر في المتوسط), ولأدي إلي خلخلة غلافها الغازي, وإلي تبخير مياهها, وإلي تركها جرداء قاحلة لا أثر للحياة فيها علي الإطلاق...!!!

إضاءة السماء في ظلمة الليل كانت آية الليل, ومحوها هو حجبها عنا.

علي الرغم من الظلام الشامل للكون, والذي لم يدركه الإنسان إلا بعد ريادة الفضاء منذ مطلع الستينات من القرن العشرين, وعلي الرغم من محدودية الحزام الرقيق الذي يري فيه نور النهار بسمك; لايتعدي المائتي كيلو متر فوق مستوي سطح البحر في نصف الكرة الأرضية المواجهة للشمس حتي أن الانسان في انطلاقه من الأرض إلي فسحة الكون في أثناء النهار فإنه يفاجأ بتلك الظلمة الكونية الشاملة التي يري فيها الشمس قرصا أزرق في صفحة حالكة السواد, لايقطع من شدة سوادها إلا أعداد من النقاط المتناثرة, الباهته الضوء التي تحدد مواقع النجوم.

علي الرغم من كل ذلك فإن العلماء قد لاحظوا في سماء الأرض عددا من الظواهر المنيرة في ظلمة الليل الحالك نعرف منها:

(1) ظاهرة توهج الهواء في طبقات الجو العليا

Airglowin the upperatmosphere

وهي عبارة عن نور باهت متغير ينتج عن عدد من التفاعلات الكيميائية في نطاق التأين

Ionosphere

المحيط بالأرض من ارتفاع90 إلي1000 كيلومتر فوق مستوي سطح البحر, وهو نطاق مشحون بالإلكترونات مما يساعد علي رجع الموجات الراديوية إلي الأرض.

(2) ظاهرة أنوار مناطق البروج

Zodiacal Lights

وتظهر علي هيئة مخروط من النور الباهت الرقيق الذي يري في جهة الغرب بمجرد غروب الشمس, كما يري في جهة الشرق قبل طلوعها بقليل, وتفسر تلك الأنوار بانعكاس وتشتت ضوء الشمس غير المباشر علي بعض الأجرام الكونية التي تعترض سبيله في أثناء تحركها متباعدة عن الأرض أو مقتربة منها.

(3) ظاهرة أضواء النجوم

Stellar Lights

وتصدر من النجوم في مواقعها المختلفة, ثم تتشتت في المسافات الفاصلة بينها حتي تصل إلي غلاف الأرض الغازي.

(4) ظاهرة أضواء المجرات

Galactic Lights

وتصدر من نجوم مجرة من المجرات القريبة منا, والتي تتشتت أضواؤها في داخل المجرة الواحدة, ثم يعاد تشتتها في المسافات الفاصلة بين المجرات حتي تصل إلي الغلاف الغازي المحيط بالأرض.

(5) ظاهرة الفجر القطبي وأطيافه

Aurora and Auroralspectra

وتعرف هذه الظاهرة أيضا بإسم الأضواء القطبية

Polar Lights

أو بإسم فجر الليل القطبي

Polar Nights Dawn

وهي ظاهرة نورانية تري بالليل في سماء كل من المناطق القطبية وحول القطبية
Polarand Subpolar Regions
وتتركز أساسا في المنطقتين الواقعتين بين كل من قطبي الأرض المغناطيسيتين وخطي العرض المغناطيسيين67 درجة شمالا,67 درجة جنوبا, وقد تمتد أحيانا لتشمل مساحات أوسع من ذلك.
وتبدو ظاهرة الفجر القطبي عادة علي هيئة أنوار زاهية متألقة جميلة, تختلف باختلاف الارتفاع الذي تري عنده(ويغلب عليها اللون الأخضر والأحمر والأبيض المشوب بزرقه والبنفسجي والبرتقالي وهي تتوهج وتخبو(أي تزداد شدة ولمعانا ثم تهدأ) بطريقة دورية كل عدة ثوان(قد تمتد إلي عدة دقائق), وتتباين ألوان الشفق القطبي في أجزائه المختلفة تباينا كبيرا, وإن تناقصت شدة نورها إلي أعلي بصفة عامة, حيث تتدلي تلك الأنوار من السماء إلي مستوي قد يصل إلي80 كيلومترا فوق مستوي سطح البحر, وتمتد أفقيا إلي مئات الكيلومترات لتملأ مساحات شاسعة في صفحة السماء, علي هيئة هالات حلقية أو قوسية متموجة, تكون عددا من الستائر النورانية المطوية المتدلية من السماء, والتي يشبه نورها النور المصاحب لبزوغ الفجر الحقيقي.

ويفسر العلماء حدوث ظاهرة الفجر القطبي بارتطام الأشعة الكونية الأولية بالغلاف الغازي للأرض مما يؤدي إلي تأينه(أي شحنه بالكهرباء), وإصدار أشعة كونية ثانوية, ثم تصادم الأشعات الكونية(وهي تحمل شحنات كهربية مختلفة) مع بعضها البعض, ومع غيرها من الشحنات الكهربية الموجودة في الغلاف الغازي للأرض مما يؤدي إلي تفريغها, وتوهجها, وتكثر الشحنات الكهربائية في الغلاف الغازي للأرض في كل من أحزمة الإشعاع
Radiation Belts
المعروفة باسم أحزمة فان ألن
Van Allens Belts
والموجودة في داخل نطق التأين المحيطة بالأرض
Ionos phere Zones
وفي نطق التأين ذاتها. والأشعة الكونية الأولية
Primary Cosmic Rays
تملأ فسحة الكون علي هيئة الجسيمات الأولية المكونة للذرات
Elementaryorsubatomic particles
وهي جسيمات متناهية في الدقة, ومشحونة بشحنات كهربائية عالية, وتتحرك بسرعات تقترب من سرعة الضوء.
وتنطلق الأشعة الكونية الأولية من الشمس, وإن كان أغلبها يصلنا من خارج المجموعة الشمسية, ولم تكتشف تلك الأشعة الكونية إلا في سنة1936 م.

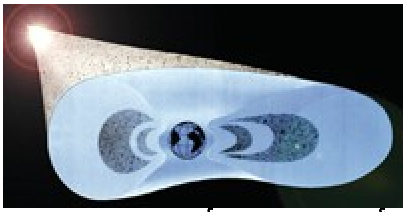

وتتسرب الأشعة الكونية الأولية إلي الأرض عبر قطبيها المغناطيسيين لتصل إلي أحزمة الإشعاع ونطق التأين في الغلاف الغازي للأرض مما يؤدي إلي تكون الأشعة الكونية الثانوية

Secondary cosmicrays
التي قد يصل بعضها إلي سطح الأرض فيخترق صخورها, أما الأشعة الكونية الأولية فلا يكاد يصل منها إلي سطح الأرض قدر يمكن قياسه.
والأشعة الكونية بأنواعها المختلفة تتحرك بمحاذاة خطوط المجال المغناطيسي للأرض, والتي تنحني لتصب في قطبي الأرض المغناطيسيين ساحبة معها موجات الأشعة الكونية, وذلك لعجزها عن عبور مجال الأرض المغناطيسي, وحينما تنفذ تلك الأشعة من قطبي الأرض المغناطيسيين فإنها تؤدي إلي زيادة تأين الغلاف الغازي للأرض في منطقتي قطبيها المغناطيسيين, ويؤدي اصطدام الشحنات المختلفة إلي تفريغها من شحناتها الكهربائية, ومن ثم إلي توهج الغلاف الغازي للأرض في كل من المنطقتين القطبيتين في ظاهرة تعرف بظاهرة الوهج القطبي أو الشفق القطبي أو الأضواء القطبية أو فجر الليل القطبي وهي ظاهرة تري بوضوح في ظلمة الليل الحالك حول القطبين المغناطيسيين للأرض, خاصة في أوقات الثورات الشمسية العنيفة حين يتزايد اندفاع الأشعة الكونية الأولية من الشمس, فتصل كميات مضاعفة منها في اتجاه الأرض. ويتزايد الإشعاع في الطبقات العليا من الغلاف الغازي للأرض إلي نسب مهلكة مدمرة خاصة في نطق التأين التي تحتوي علي تركيز عال من البروتونات(الموجبة) والإليكترونات(السالبة), ويحتبس المجال المغناطيسي للأرض الغالبية العظمي من تلك الإشعاعات, ويوجهها إلي قطبيها المغناطيسيين في حركة لولبية موازية لخطوط المجال المغناطيسي والتي تنحني من القطب الشمالي إلي القطب الجنوبي وبالعكس, وعندما يقترب الجسم المشحون بالكهرباء من جسيمات الأشعة الكونية تلك من أحد قطبي الأرض المغناطيسيين فإنه يرده إلي الآخر وهكذا تحدد خطوط الحقل المغناطيسي للأرض اتجاهات تحرك الأشعة الكونية وتركزها حول قطبي الأرض المغناطيسيين.

ومن الثابت علميا أن نطق الحماية المتعددة الموجودة في الغلاف الغازي للأرض ومنها نطاق الأوزون, نطق التأين المتعددة, أحزمة الإشعاع, والنطاق المغناطيسي للأرض, لم تكن موجودة في بدء خلق الأرض, ولم تتكون إلا علي مراحل متطاولة من بداية خلق الأرض الابتدائية
Proto-Earth
وعلي ذلك فقد كانت الأشعة الكونية وباقي صور النور المتعددة في صفحة الكون تصل بكميات هائلة إلي المستويات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض ككل, فتؤدي إلي إنارتها وتوهجها ليلا بمثل ظاهرة الشفق القطبي, توهج الهواء, أضواء النجوم, أضواء المجرات وغيرها مما نشاهد اليوم, ولكن بمعدلات أشد وأقوي, وكان هذا التوهج وتلك الإنارة يشملان كل أرجاء الأرض فتنير ليلها إنارة تقضي علي ظلمة الليل.
وبعد تكون نطق الحماية المختلفة للأرض أخذت هذه الظواهر في التضاؤل التدريجي حتي اقتصرت علي بقايا رقيقة جدا وفي مناطق محددة جدا مثل منطقتي قطبي الأرض المغناطيسيين, لتبقي شاهدة علي حقيقة أن ليل الأرض في المراحل الأولي لخلقها كان يضاء بوهج لايقل في شدته عن نور الفجر الصادق, وشاهدة علي رحمة الله بنا أن جعل للأرض هذا العدد الهائل من نطق الحماية المتعددة والتي بدونها تستحيل الحياة علي الأرض, وشاهدة علي حاجتنا إلي رحمة الله تعالي ورعايته في كل وقت وفي كل حين من الأخطار المحيطة بنا من كل جانب, وشاهدة علي صدق تلك الإشارة القرآنية المعجزة.

وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا.
وهي حقيقة لم يدركها العلم المكتسب إلا في السنوات المتأخرة من القرن العشرين, ولم يكن لأحد من البشر إدراك لها وقت تنزل القرآن الكريم ولا لعدد من القرون بعد ذلك..!!

وانطلاقا من هذه الحقيقة يمن علينا ربنا(تبارك وتعالي) بتبادل الليل والنهار فيقول(عز من قائل):
قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلي يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلي يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون. ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون.
(القصص:71 ـ73)

وجاء ذكر الليل في القرآن الكريم اثنتين وتسعين(92) مرة, منها ثلاثة وسبعون(73) مرة بلفظة الليل, ومرة واحدة بلفظة ليل, وثماني(8) مرات بلفظة ليلة, وخمسة(5) مرات بلفظة ليلا, وثلاث(3) مرات بلفظة ليال, ومرة واحدة بكل من اللفظين ليلها و ليالي.
كذلك ورد ذكر النهار في القرآن الكريم سبعا وخمسين(57) مرة, منها أربعة وخمسون(54) مرة بلفظ النهار, وثلاث(3) مرات بلفظ نهارا, كما وردت ألفاظ الصبح, و الإصباح و الفلق ومشتقاتها بمدلول النهار في آيات أخري كثيرة, كذلك وردت كلمة اليوم أحيانا بمعني النهار.

ونعمة الله تعالي علي أهل الأرض جميعا بمحو إنارة الليل, وإبقاء إنارة النهار نعمة مابعدها نعمة, لأنه لولا ذلك مااستقامت الحياة علي الأرض, ولا استطاع الانسان الإحساس بالزمن, ولا التأريخ للأحداث بغير تبادل ظلام الليل مع نور النهار, ولتلاشت الحياة, ومن هنا جاءت إشارة القرآن الكريم إلي تلك الحقيقة سبقا لكافة المعارف الإنسانية.
وإن دل ذلك علي شئ فإنما يدل علي أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته, وعلي أن هذا النبي الخاتم(صلي الله عليه وسلم) كان موصولا بالوحي, ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض, وأنه(عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم) ما كان ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحي كما وصفه ربنا(تبارك وتعالي).

وإذا كان صدق القرآن الكريم جليا في إشاراته إلي بعض أشياء الكون وظواهره, فلابد أن يكون صدقه في رسالته الأساسية وهي الدين(بركائزه الأربع: العقيدة, والعبادة, والأخلاق والمعاملات) جليا كذلك. وهنا يتضح جانب من جوانب الإعجاز في كتاب الله, وما أكثر جوانبه المعجزة ـ هو الإعجاز العلمي, وهو خطاب العصر ومنطقه, وما أحوج الأمة الإسلامية, بل ماأحوج الإنسانية كلها إلي هذا الخطاب في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه, وزمن العولمة الذي تحاول فيه القوي الكبري ـ علي ضلالها ـ فرض قيمها الدينية والأخلاقية والإجتماعية المنهارة علي دول العالم الثالث وفي زمرتها الدول الإسلامية, بحد غلبتها العلمية والتقنية, وهيمنتها الاقتصادية والعسكرية, وقد عانت الدول الغربية, ذاتها ولاتزال من الإغراق المادي الذي

دمر مجتمعاتها, وأدي إلي تحللها الأسري والاجتماعي والأخلاقي والسلوكي والديني, وإلي ارتفاع معدلات الجريمة, والأدمان, والانتحار, وإلي الحيود عن كل قوانين الفطرة السوية التي فطر الله خلقه عليها, وإلي العديد من المشاكل والأزمات النفسية والمظالم الاجتماعية والسياسية علي المستويين المحلي والدولي...!

ومأأحوج علماء المسلمين إلي إدراك قيمة الآيات الكونية في كتاب الله فيقبلوا عليها تحقيقا علميا منهجيا دقيقا بعد فهم عميق لدلالة اللغة وضوابطها وقواعدها, ولأساليب التعبير فيها, وفهم لأسباب النزول, ومعرفة بالمأثور من تفسير الرسول(صلي الله عليه وسلم) وجهود السابقين من المفسرين, ثم تقديم ذلك الإعجاز العلمي إلي الناس كافة ـ مسلمين وغير مسلمين.مما يعد دليلا ماديا ملموسا علي أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق, وعلي أن سيدنا ونبينا محمدا(صلي الله عليه وسلم) هو خاتم أنبيائه ورسله, في غير تكلف ولا اعتساف, لأن القرآن الكريم غني عن ذلك, وهو أعز علينا وأكرم من أن نتكلف له.

وهذا المنهج في الاهتمام بالآيات الكونية في كتاب الله, وشرح الإشارات العلمية فيها من قبل المتخصصين ـ كل في حقل تخصصه ـ هو من أكثر وسائل الدعوة إلي دين الله قبولا في زمن العلم والتقنية الذي نعيشه.